Bible Study

The First Epistle of St. Paul to the Thessalonians

رسالة معلمنا بولس الرسول الأولي إلي أهل تسالونيكي

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

الرسالة الأولي إلى أهل تسالونيكي

الاصحاح الخامس: وصايا عملية

"وأما الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكم أيها الإخوة أن أكتب إليكم عنها" [1]

- إذ يكتب القديس بولس إلى الكنيسة المتألمة المترقبة بصبر سرعة مجيء الرب، يطالبهم بالسهر، مردداً كلمات السيد المسيح قبيل صعوده: **"ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه" (أعمال 1: 7)**، ليس لأن الله يريد أن يخفي عنا أسراره، وإنما في محبته يود أن يجعلنا في حالة سهرٍ دائمٍ ملتهبة قلوبنا بمجيئه، ومستعدين للدخول معه في العرس الأبدي.
- في رجاء حقيقي يجاهد الإنسان متكئًا على صدر الرب، مطمئنًا لمحبة الله الذي **"يعطي الجميع بسخاء ولا يعيّر" (يعقوب 1: 5)**. لكننا نترك له موعد العطاء، فهو يهب ما لمجد اسمه وما لبنيان الكنيسة ولخلاصنا، ويحدد الموعد المناسب، ويعطي قدر ما يرى هو، كما ننتظر بشوقٍ مجيء الرب دون معرفة الأزمنة، نفتح قلوبنا بشوق لنعمه الروحية الغنية دون تحديد أزمنة.

"لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيء، لأنه حينما يقولون سلام وأمان، حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة، كالمخاض للحبلى فلا ينجون" [2 - 3]

- يأتي هذا اليوم بالنسبة لغير المستعدين كلصٍ في الليل (متي 24: 43؛ لوقا 12: 39؛ 21: 34؛ رؤيا 3: 3، 16: 15)، في لحظة لا يتوقعونها أو كالمخاض للحبلى. إنه يوم ظلمة وقتام لغير المستعدين، فيكون كمن ينام ظانًا أنه في سلام وأمان، فيسطو عليه اليوم فجأة كلصٍ ينهبه، أو يكون كالحبلى غير المستعدة للمخاض فيفاجئها فلا تنجو.

- وكما يقوم عاموس النبي: **"ويل للذين يشتهون يوم الرب، لماذا لكم يوم الرب هو ظلام لا نور؟" (عاموس 5: 18)**.

- يرى القديس أغسطينوس أن عنصر المفاجأة يتحقق بالنسبة لغير المستعدين إما بمجيء الرب لإدانتهم أو انتقالهم، إذ يقول: [لتسهروا بالليل حتى لا تفاجئوا باللص، فإن نوم الموت قادم، إن أردتم أو لم تريدوا.]

"وأما أنتم أيها الأخوة فلستم في ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص. جميعكم أبناء نور وأبناء نهار. لسنا من ليل ولا ظلمة، فلا ننم إذًا كالباقين، بل لنسهر ونصحُ" [4 - 6]

- إن كان يوم الرب بالنسبة لغير المستعدين ظلامًا، فإنه بالنسبة للمؤمنين الساهرين يوم عرس مفرح ومنير.

- يقول القديس أغسطينوس: [من هم أبناء الليل؟ وأبناء الظلمة؟ أولئك الذين يرتكبون الشرور. إنهم أبناء ليل، إذ يخافون لئلا تُنظر الأمور التي يفعلونها... ليس أحد يعمل في الفجر (مع بدء النهار) إلاَّ الذي يعمل في المسيح!]

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [كيف يمكن أن يوجد أبناء للنهار؟ ويجيب أن ابن الهلاك وابن جهنم هم الذين يعملون أعمالاً تناسب جهنم، إذ يقول السيد المسيح للفريسيين: **"ويل لكم لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحدًا ومتى حصل تصنعونه ابنًا لجهنم" (متي 23: 15)**. وأيضًا يقول بولس: **"الأمور التي من أجلها يأتي غضب الله على أبناء المعصية" (كولوسي 3: 6)**، أي الذين يعملون أعمال المعصية. هكذا أيضًا أبناء الله هم الذين يعملون الأمور التي ترضي الله، وأبناء النهار وأبناء النور هم الذين يعملون أعمال النور.]

"لأن الذين ينامون فبالليل ينامون، والذين يسكرون فبالليل يسكرون" [7]

- يلتزم أبناء النهار وأبناء النور بالسهر، لا بمعنى الامتناع عن النوم الطبيعي، وإنما دوام يقظة النفس الداخلية. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أنه بالنسبة للجسد يوجد ليل ونهار بغير إرادتنا، فيلتزم الجسد بالنوم وقتًا ما، أما بالنسبة للنفس ففي سلطاننا أن يكون لنا نهار أو ليل، فإنه إذ نغمض أعيننا الداخلية ونفقد بصيرتنا الروحية ونسترخي تنام النفس. أما النفس اليقظة، فتقول: **"أنا نائمة وقلبي مستيقظ" (نشيد 5: 2)**، حتى وإن نام الجسد وبدت الحواس مسترخية، فإن القلب لا يعرف الليل ولا الظلمة ولا الاسترخاء!

- النفس لا تنم إلاَّ إذا قبلت أن يكون لها ليل وظلمة، حينئذ تسترخي. وأيضًا لا تسكر إلا إذا قبلت أن تشرب خمر الشر الذي يجعلها مترنحة، فتفقد كل اتزانها، ويضيع الهدف من أمام عينيها. النفس التي تشتهي غنى العالم، وتجري وراء المجد الباطل، وتسعى وراء الشهوات والملذات الجسدية تعيش كما في ليلٍ وظلمةٍ وكمن يشرب خمرًا، بل وتكون كمن هو في حلمٍ، فتستيقظ يومًا على أثر ندائها لتخرج من الجسد، فلا تجد شيئًا من كل ما كانت تسعى وراءه. لقد عاشت في حالة نومٍ وسكرٍ حين كانت في الجسد تسترخي وتترنح بخمر محبة العالم، فلا تطلب ما هو بحق ليبقى لها رصيدًا في أبديتها.

"وأما نحن الذين من نهار فلنصح، لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص" [8]

- إن كنا قد قبلنا ألاَّ يكون لنا ليل ولا ظلمة، فنحيا في النهار صاحين، نتقدم لله كجنودٍ روحيين نحتمي بدرع الإيمان والمحبة وخوذة الرجاء، هذه الأمور الثلاثة **"الإيمان والمحبة والرجاء"** هي أدوات الحرب الروحية التي اختبرها أهل تسالونيكي كما جاء في مقدمة الرسالة: **"متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم وتعب محبتكم وصبر رجائكم" [1: 3]**. يقول الأب سيرانيوس: [**الإيمان** هو الذي يوقف سهام الشهوة الشريرة ويهلكها بالخوف من الدينونة العتيدة والإيمان بملكوت السماوات... **والمحبة** في الواقع هي التي تحيط المناطق الحيوية للقلب، فتحميه من التعرض لجراحات الأفكار المتزايدة المهلكة، وتحفظه من الضربات الموجهة ضده، ولا تسمح لسهام الشرير أن تتعمق إلى الإنسان الداخلي لأن المحبة **"تحتمل كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء" (1 كورنثوس 13: 7)**. وخوذة رجاء الخلاص هي التي تحمي الرأس. فالسيد المسيح هو رأسنا، لذلك ينبغي علينا في التجارب أن نحمي رأسنا برجاء الأمور الصالحة العتيدة، وعلى وجه الخصوص أن نحفظ الإيمان كاملاً وطاهرًا. فمتى فقد إنسان جزء من جسده، يمكنه أن يعيش مهما كان هزيلاً، لكنه لا يستطيع أن يحيا ولا لفترة قصيرة بدون الرأس.]

"لأن الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح، الذي مات لأجلنا حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعًا معه. لذلك عزوا بعضكم بعضًا وابنوا أحدكم الآخر، كما تفعلون أيضاً" [9 - 11]

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [لا تيأس يا إنسان من جهة ذهابك إلى الله، فإنه لم يبخل عليك بابنه. لا تضعف أمام الشرور الحاضرة. لقد قدم الله ابنه الوحيد **"ذبيحة – مات لأجلنا"** ليخلصك وينقذك من جهنم، فأي شيء لا يقدمه لخلاصك؟ هكذا يليق بنا أن نترجى كل شيء بحنو. فلا تخف لأننا ذاهبون إلى الديان ليحكم علينا، فإنه هو بنفسه الذي أظهر لنا حبًا عظيمًا مقدمًا ابنه ذبيحةً عنا. إذن فلنترجَ نوال أمور عظيمة ونبيلة ما دمنا قد نلنا الأساسيات، ولنؤمن إذ رأينا مثالاً أمامنا، ولنحب لأنه أي جنون ينسب لمن لا يحب من عوامل هكذا؟]

- خلال هذه الذبيحة دخلنا في ملكية الله، فصرنا له، سواء كنا ساهرين في هذا العالم خلال حياة الجهاد المستمر أو نومنا أي رقادنا للراحة في الرب حتى تقوم أجسادنا من جديد. وكما يقول: **"لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (1 كورنثوس 6: 20).**

"ثم نسألكم أيها الإخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم، يدبرونكم في الرب وينذرونكم، وأن تعتبروهم كثيرًا جدًا في المحبة من أجل عملهم. سالموا بعضكم بعضاً" [12 - 13]

- بعد أن حثهم على حياة السهر الروحي والجهاد، منتظرين مجيء الرب في صبرٍ، بدأ يسألهم تكريم آبائهم الروحيين ومدبريهم الساهرين عليهم، طالبًا منهم أن **يعتبرونهم كثيرًا جدًا في المحبة**. ولعل السبب في هذا أن بعض المغرضين حاولوا تشويه صورة القديس بولس عند الكنيسة في تسالونيكي إذ لم يحضر إليهم وسط ضيقتهم، مكتفيًا بإرسال تلميذه وشريكه في الخدمة الرسولية تيموثاوس.

- ويعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذه الآيات قائلاً: [من يحب المسيح يحب الكاهن - أيًا كان - فمن خلاله ينعم بالأسرار الشرعية... أما تحبه كثيرًا كعينيك؟ أما تقبله؟ إنه يفتح لك السماء، أفما تقبله وتكرمه؟ إن كانت لك زوجة فلتحبه بالأكثر، لأنه قدمها لك. إن كنت تحب المسيح إن كنت تحب ملكوت السماوات فاعرف أنك تقتني هذا خلاله.]

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [هكذا كما يضطر الأطباء إلى مضايقة المرضى لكن المرضى يقبلون ذلك من أجل فائدتهم، وكما أن الآباء كثيرًا ما يضايقون أبناءهم، هكذا بالأكثر جدًا يفعل المعلمون ذلك. يتضايق المرضى من الطبيب ومع هذا فغالبًا ما يدخلون معه في علاقة ود... ويمارس الأب سلطانه على ابنه بسهولة شديدة بحكم الطبيعة وخلال القوانين الوضعية، فيقوم بتأديب ابنه بغير إرادة الابن ومع ذلك فلا يجد ما يعوقه **ولا يقدر الابن أن يرفع نظره إليه**، أما الكاهن فإن فعل هكذا يجد صعوبة شديدة. فمن جهة الكاهن ملتزم بتدبير أمور شعب يطيعونه بإرادتهم ويشكرونه على تدبير أمورهم، وإن كان هذا لا يتحقق بسهولة، **فإن دان الكاهن شخصًا ووبخه، فبالتأكيد لا يشكره الشخص، بل يتحول إلى عدوٍ، وهكذا إن قدم نصيحة أو نذر**. فإن قلت لكم أنفقوا غناكم على المحتاجين أكون كمن يهاجمكم ومن هو ثقيل عليكم. وإن قلت لكم اكبحوا غضبكم، واطفئوا غيظكم، واضبطوا شهواتكم الشريرة، وتخلوا عن الترف، تحسبوا هذا أمرًا ثقيلاً وهجومًا ضدكم. **فإن عاقبت إنسانًا كسولاً أو طردته من الكنيسة أو استبعدته عن الصلوات العامة يحزن لا لأنه سيحرم من هذه الأمور، وإنما لأنه يحسب في ذلك إهانة عامة قد لحقت به**.] هكذا يلتزم الكاهن أحيانًا في محبته الأبوية أن يكون حازمًا، الأمر الذي يعرضه لمضايقة الناس منه، فلا تُقابل أبوته بالحب بل بالبغضة، لهذا يقول : **"وأن تعتبروهم كثيرًا في المحبة من أجل عملهم"**.

"ونطلب اليكم ايها الاخوة انذروا الذين بلا ترتيب، شجعوا صغار النفوس، اسندوا الضعفاء، تأنوا على الجميع. انظروا أن لا يجازي أحد أحدًا عن شرٍ بشرٍ، بل كل حين اتبعوا الخير بعضكم لبعض وللجميع" [14 - 15]

- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: [من هم **الذين بلا ترتيب**؟ الذين يعملون ما يضاد إرادة الله... الإنسان الشتام يسلك بلا ترتيب، والسكير أيضًا، وكل الذين يخطئون. هؤلاء يسلكون بلا ترتيب يليق برتبتهم، إذ ينحرفون عنه، لهذا يطرحون خارجًا.]

- ماذا يقصد **بصغار النفوس**؟ إنهم الذين لا يحتملون الإهانة، فتصغر نفوسهم جدًا، ويتعرضون لليأس، مثل هؤلاء يلزم أن نستخدم معهم أسلوب التشجيع، فنترفق بهم حتى عند انتهارهم، **فالانتهار ليس غاية في ذاته، ولا واجب يلتزم به المدبر، وإنما هو وسيلة للبنيان**.

- **"انظروا أن لا يجازي أحد أحدًا عن شرٍ بشرٍ"**: وكأن القديس بولس يعلن أن الحب لا يقف عند حدود مساندة الضعفاء والترفق بالخطاة، وإنما يلزم احتمال شر الأشرار بقلبٍ متسعٍ دون انتقام الإنسان لنفسه ويتبع الخير مع الجميع.

"افرحوا كل حين. صلوا بلا انقطاع. اشكروا في كل شيء، لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم" [16 - 18]

- إذ يتسع القلب بالحب للجميع حتى للأشرار ترتدي النفس ثوب العرس المفرح وتُحسب أهلاً للحياة السماوية فتنعم بالفرح كعطية سماوية حتى وسط الآلام، فلا يقدر الغم أن يتسرب إليها تحت أي ظرف، وإن تسرب لا يقدر أن يستقر فيها.
- ربما يتساءل البعض: كيف نتمم الوصايا السابقة أو كيف ننعم بالمواعيد السابقة من حبٍ بلا حدود، وفرح في كل حين؟ يجيب القديس بولس بوصية جديدة هي سرّ العطايا الإلهية: **الصلاة والشكر في كل شيء.**
- يقول القديس أغسطينوس: [هل بقوله: **صلوا بلا انقطاع** يعني أننا نحني ركبنا ونطرح أجسادنا أو نبسط أيدينا بلا انقطاع؟ لو كانت الصلاة تعني هذا فإنني أظن أننا لا نقدر على الصلاة بلا انقطاع. وإنما يوجد نوع آخر داخلي للصلاة بلا انقطاع، وهي رغبة القلب إلى أمر يعمله... فإن كنت مشتاقًا إلى السبت (الراحة الأبدية) فأنت لا تكف عن الصلاة. إن أردت ألاَّ تمتنع عن الصلاة، فلا تكف عن الشوق إليها، فإن استمرار الاشتياق إنما هو استمرار للصلاة.]

"لا تطفئوا الروح. لا تحتقروا النبوات. امتحنوا كل شيء، تمسكوا بالحسن. امتنعوا عن كل شبه شر" [19 - 22]

- يشبه القديس يوحنا الذهبي الفم عطية الروح القدس بمصباح أو سراج منير داخل البيت، فإن فتح إنسان بابين متقابلين دخل تيار الهواء بشدة وأطفأه. لهذا يقول [إن فتح إنسان باب فمه بكلمة إهانة ضدك فلا تفتح أنت بابك بإهانة مماثلة، فترد السب بالسب، لئلا يدخل في نفسك تيار هواء الحقد ويطفئ لهيب الروح المشتعل في داخلك! ليفتح الشرير بابه أمامك لكنك في حكمة إذ تترك بابك مغلقًا تبقي عطية الروح ملتهبة في الداخل.]
- أما زيت هذا السراج فهو أعمال الحب، فإن الروح القدس الناري يبقى عمله ملتهبًا فينا مادامت أحشاؤنا تتجاوب معه بالحب لله والناس، أما إذا أغلقنا أحشاءنا تجاه الله والناس فإننا نفقد زيت الحب الذي ينير فينا.
- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أن اللصوص عند سلبهم بيتًا ما، فإنهم إذ يدخلونه يطفئون السراج الذي فيه حتى يقدروا أن يحققوا غايتهم، وهكذا فإن عمل الشيطان الرئيسي عند اقتحامه قلب مؤمن، هو تحطيم عمل الروح فيه حتى يسلبه كل حياته.

- **"لا تحتقروا النبوات"**: كما تهتم الكنيسة أن يبقى عمل الروح القدس الناري دائم الالتهاب داخلنا، هكذا تهتم أيضًا أن يبقى ملتهبًا خلال منبرها، فلا يقف إنسان ليتكلم بنبوة (عظة) بغير اكتراث.
- بمعنى آخر، يلزمنا ألاَّ نحتقر عمل الروح فينا لئلا ينطفئ، ولا نحتقره في كلمة الوعظ بل تكون كجمرة نار متقدة يمسكها الكاهن كما بملقط وكأنه بسيرافيم يقدمها في قلوب أولاده الروحيين حتى يلتهبوا هم أيضًا بالنار الإلهية المقدسة ولا ينطفئ فيهم الروح.
- إن كان يليق بالخادم ألاَّ يحتقر المنبر بل يقدم خلال حياته الملتهبة كلمة الله كنارٍ متقدة، فإنه يلزم للشعب أيضًا أن يحمل روح التمييز **"فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد... ولآخر تمييز الأرواح" (1 كورنثوس 12: 10)** فيقبل كلمة الله الصادقة ويرفض اللبن الغاش.
- بهذا الروح يقدر المؤمن أيضًا أن يفرز الفكر الذي يخطر به، فيقبل فكر الله ويرفض الفكر الشرير وما هو **شبه شرير** كالأفكار الباطلة التي وإن كانت ليست شرًا لكنها مفسدة للوقت ومضيعة للطاقة والحياة الروحية.

"وإله السلام يقدسكم بالتمام، ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم، عند مجيء ربنا يسوع المسيح. أمين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضًا" [23 - 24]

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [لاحظ حب المعلم، فإنه يصلي بعد أن ينصح، بل يضيف الصلاة إلى رسالته، فإننا في حاجة إليها كما إلى المشورة. لهذا السبب نقدم لكم نحن أيضًا المشورة وبعد ذلك نرفع عنكم الصلوات... تطلع إلى تواضعه في قوله: **أمين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضًا**! لا تظن أن هذه (القداسة) تتحقق لهم بسبب صلاته عنهم وإنما بسبب دعوة الله لهم إليها. لقد دعاهم للخلاص، وهو صادق فسيخلصهم بالتأكيد، لأن هذه هي إرادته.]
- ما هي طلبتنا ككهنة من أجل شعب الله إلاَّ أن يقدسهم إله السلام ويحفظ روحهم ونفسهم وجسدهم بلا لوم، فيأتي ليجد كل ما لهم قد تقدس له، وتهيأ لملاقاته، فيشترك معه في المجد.
- ويعلق القديس ايريناؤس: [ماذا كان هدفه من الصلاة؟ أن يحفظ هؤلاء الثلاثة، النفس والجسد والروح، إلى مجيء الرب، فقد أدرك القديس بولس الحاجة إلى إعادة تكامل الإنسان، الأمر الذي يتحقق في الحياة العتيدة. فيتم اتحاد الثلاثة معًا ليرثوا معًا خلاصًا واحدًا بعينه.]

"أيها الإخوة صلوا لأجلنا. سلموا على الإخوة جميعًا بقبلة مقدسة. أناشدكم بالرب أن تُقرأ هذه الرسالة على جميع الإخوة القديسين. نعمة ربنا يسوع المسيح معكم. آمين" [25 - 28]

- بعد أن صلى من أجلهم، طالبهم بالصلاة من أجله، مقدمًا نفسه مثالاً حيًا للخادم الحي الذي يعرف رسالته وغايته، فعمله الرئيسي هو الصلاة عن الآخرين كقول صموئيل النبي: "وأما أنا فحاشا لي أن أخطئ إلى الرب، فأكف عن الصلاة من أجلكم، بل أعلمكم الطريق الصالح المستقيم" (1 صموئيل 12: 23). وفي نفس الوقت يطلب صلوات شعبه من أجله مدركًا حاجته إلى مساندتهم خلال الصلاة.

- إذ هو غائب عنهم بالجسد يطلب منهم أن يسلموا على الإخوة بقبلة مقدسة نيابة عنه. هكذا يلتهب في قلبه نار الحب الروحي!

- أما طلبه أن تُقرأ الرسالة على جميع الإخوة، فيحمل أيضًا علامة حبه للجميع، مشتهيًا أن يتحدث معهم ولو بالرسالة.

- أخيرًا، يختم الرسالة بطلب نعمة ربنا يسوع المسيح أن تسندهم في ضيقهم في الحياة الفاضلة، وتحقق إرادة الله فيهم.